

مجلة جامعة أم القرى

مجلة فصلية للبحوث العلمية المحكمة

السنة الثالثة العدد الرابع العام ١٤١١ هـ

مجلة جامعة أم القرى السنة الثالثة العدد الرابع العام ١٤١١ هـ



الدور الفرنسي في الحروب الصليبية ضد مسلمي الأندلس

د / سعد عبد الله البشري*

* حصل على البكالوريوس من قسم التاريخ بجامعة الملك عبدالعزيز عام ١٣٩٨ هـ بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى . وحصل على الدكتوراه من القسم نفسه عام ١٤٠٦ هـ بتقدير ممتاز .

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص البحث

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .. وبعد :

فقد حظيت الحروب الصليبية التي شنها الاوربيون على المشرق الاسلامي باهتمام وعناية الدارسين والباحثين فأولوها جهودا واسعة ، وتناولوا حملاتها وما تمخض عنها من نتائج بدراسات وأبحاث لا يمكن حصرها ، غير أن الحروب الصليبية التي قادها الأوربيون ضد مسلمي الأندلس مساندة منهم للقوات الاسبانية النصرانية ، لم تحظ بمثل أو ما يقارب تلك العناية التي وجهت لدراسة الحروب الصليبية في المشرق على الرغم من أن الدارس أو الباحث الذي يتطرق للصراع العسكري بين المسلمين والأسبان النصارى قد يشير إلى تلك المشاركات الأوروبية الصليبية في ثنايا دراسته أو بحثه ، إلا أن محاولة التركيز على دور الأوربيين لازال بحاجة ماسة إلى دراسة دقيقة وفاحصة وهذا البحث المتواضع يساهم في إلقاء بعض الأضواء على الدور الذي اضطلع به الفرنسيون في تعزيز الجبهة الأسبانية النصرانية عن طريق امدادها بالحملات العسكرية وما رافق ذلك من عتاد ومؤن وذلك على امتداد تاريخ الوجود الاسلامي في الأندلس وكون الفرنسيين شاركوا مشاركة فعالة ـ وخاصة منذ مطلع القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي ـ في الحد من اتساع نفوذ القوى الاسلامية الجديدة في الساحة الأندلسية ، والمتمثلة في دولة المرابطين والموحدين ، وكان من الطبيعي ان يتبع ذلك تنامي قوة الممالك الأسبانية النصرانية ، وتحقيق غاياتها واهدافها في التوسع على حساب المسلمين ، فكان للفرنسيين دور هام في سقوط عدد كبير من قواعد الاسلام في الأندلس كطليطلة وسرقسطة ، وظل الدعم الفرنسي متواصلا ولكن بصورة أقل مما كانت عليه ، وخاصة منذ أن تبين رجحان كفة القوى النصرانية على القوى الاسلامية بعد وقعة العقاب المشئومة سنة ٦٠٩ هـ .

وأخيرا أرجو أن أكون قد أسهمت ولو بقدر محدود في كشف القناع عن أهمية الدعم الفرنسي للحروب الصليبية ضد المسلمين في الأندلس ، وأن تلك المشاركة الأوروبية الصليبية كانت عاملا من عدة عوامل أدت إلى اضعاف الجبهة الاسلامية في الأندلس ، وبالتالي سقوط الاندلس في براثن القوى الصليبية المتحالفة . ولله الأمر من قبل ومن بعد .

أسهم الفرنسيون اسهاما واسعا في الحروب الصليبية ضد مسلمي الأندلس ، وقدموا للجبهة الأسبانية النصرانية على امتداد تاريخ المسلمين في الأندلس نجدات ومعونات كبيرة ومستمرة لم تنقطع وخاصة منذ سقوط طليطلة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م .

ويمكن للمؤرخ المستقصي لهذا الدور الجسيم الذي اضطلع به الفرنسيون أن يعتبر حملة امبراطور الفرنجة شارلمان ـ والتي قادها لغزو الأندلس ١٦١ هـ/٧٧٧م على عهد الأمير عبد الرحمن بن معاوية المعروف بالداخل ـ فاتحة المدد الفرنسي الصليبي الذي تدفق تياره بعد ذلك وحقق نتائج حاسمة لصالح القوى والممالك النصرانية والأسبانية .

وعلى الرغم من انكسار جيش شارلمان وعودته خائبا إلى بلاده إلا أن تلك الهزيمة التي لحقت به وكما يقول فيشر (اسبغت عليه من ساطع المجد مالم تستطعه الانتصارات الكثيرة بفضل الخيال القصصي الذي اضفى على حملته الحربية في وادي الابرو شمال مدينة برشلونه هالة من هالات الحروب الصليبية . . . .)[1] .

ولكن لماذا جنى شارلمان من هزيمته هذا المجد والفخار ؟ ان السبب في ذلك يعود الى طبيعة الصراع بين القوتين النصرانية والاسلامية ، وما كان يعتمل في نفس شارلمان من مطامح ومطامع في تحقيق غاياته السياسية والدينية ، فعلى الرغم من اعترافنا بانه كانت له مصالح سياسية وعسكرية من وراء الحملة إلا أنه كانت له أيضا دوافع وغايات دينية . فتشير الروايات الاوروبية إلى أن شارلمان قد عرض مشروع حملته العسكرية على البابا هادريان ، وأن البابا قد أيده تماما في مسعاه الهادف إلى القضاء على الاسلام ، الذي ساد أسبانيا ، ووعده باقامة الصلوات . لكي يعود ظافرا غانما[2] .

---

(١) تاريخ أوروبا في العصور الوسطى ، ق١ ، ص ٩٥ .

(٢) محمد محمد مرسي : دولة الفرنجة وعلاقاتها بالامويين في الاندلس ، ص ١٤٥ وانظر الباز العريني : بعض معالم عهد شارلمان ، المجلة التاريخية المصرية ، ج٨ ، ١٩٥٩م ص١٤٤ .

ويبدو أن شارلمان قاد حملته على الاندلس وهو يتمثل في مخيلته انتصارات جده شارل مارتل الذي نجح في وقف الزحف الاسلامي الذي كاد أن يقتحم باريس ، فشارلمان بالتالي يطمع في تحقيق حلمه بالقضاء على الوجود الاسلامي في اسبانيا التي كانت قبل حوالي سبعين سنة فقط ارضا نصرانية يمجد فيها الصليب ، وتقرع فيها النواقيس وأجراس الكنائس .

ومما يؤكد ما أشرنا اليه أن رينهارت مؤرخ شارلمان يذكر أن الحملة التي نظّمها شارلمان كان القصد منها مهاجمة قرطبة ، ويبدو من ضخامة الجيش أن الهدف لم يكن متعلقا فقط بالاستيلاء على المدن التي وعد سليمان الاعرابي بتسليمها ، وأن شارلمان كان يهدف إلى السيطرة على اسبانيا كلها أو على الأقل على نصفها الشمالي(١) .

ويضاف إلى ذلك أنه كان هناك عدد من أساقفة طليطلة في هذه الفترة على اتصال مستمر بنصارى أوروبا وكانوا يكاتبونهم ويثيرون شعورهم الديني ضد المسلمين(٢) .

ومن هنا نستشف بدايات وبواكير المشاركة الصليبية التي قدمها الاوربيون وخاصة الفرنسيين إلى القوى الاسبانية النصرانية ، وان الحروب الصليبية كانت أبكر مما يتصوره البعض ، وانها شهدت ميلادها وفجر نشاطها في القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي . أي في فجر التاريخ الاسلامي في الاندلس .

هذا وقد بلغ من مكانة شارلمان الصليبية وما أسهم به من جهود في نشر النصرانية ، وتوسيع رقعتها ، ومقارعة خصومها ، أن سرت شائعات في العصور المتأخرة تنسب اليه قيامه بحملة صليبية إلى المشرق لاعادة السيطرة النصرانية على بلاد الشام(٣) .

---

(١) محمد عنان : مواقف حاسمة في تاريخ الاسلام ، ص٧٥ .
(٢) الباز العريني : بعض معالم عهد شارلمان ، ص١٤٤ .
(٣) مؤلف مجهول : أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس ، ص١٨ .

وعلى الرغم من الفشل الذريع الذي مُني به جيش شارلمان إلا أن الفرنجة عاودوا هجومهم على شمال الأندلس . ولسنا في حاجة إلى تفصيل ما حدث من صراع بين المسلمين والفرنجة إلا بالقدر الذي يخدم غاية البحث ، وهو كشف القناع عن الدور الصليبي الذي قام به الفرنسيون لمساندة الممالك النصرانية في حروبها مع مسلمي الأندلس .

وتجدر الاشارة الى ما تم من تقارب بين شارلمان والبشكنس من جهة ، والفونسو الثاني ملك جليقية بعد أن تمكن المسلمون من احراز انتصارات كبيرة في شمال الأندلس ، على عهد الامير عبد الرحمن ، ثم ابنه هشام ، ثم حفيده الحكم ، وهو ما شجع شارلمان على المضي في مشاريعه العسكرية ضد المسلمين فبعث سنة ١٨٥هـ/٨٠١م جيشا بقيادة ابنه لويس للاستيلاء على برشلونه ، ورغم استبسال واليها سعدون الرعيني وأهلها في الدفاع عن المدينة ، الا ان الحصار الطويل تسبب في مجاعة شديدة داخل المدينة ، كما ان الفرنجة نجحوا في فتح ثغرات عديدة في أسوارها فاضطرت المدينة الى التسليم بعد حصار امتد سبعة أشهر[١] .

ويهمنا من ذلك كله ما تمخض من نتائج خطيرة عن وقوع برشلونة تحت النفوذ الفرنجي ، إذ اصبح للفرنجة قاعدة جديدة جنوب البرينية يهددون من خلالها الوجود الاسلامي في شمال الاندلس ، وقد أسرع الفرنجة بعد احتلال المدينة الى اضفاء طابعهم عليها ، فعينوا عليها اساقفة يتبعون اسقفية ناربون وربطوا نظامها الديري بالتنظيمات الديرية الفرنسية ، غير أنهم رأوا ضمانا لاستمرار سلطانهم عليها ان يختاروا حاكمها من أصل قوطي ، فشعر حكامها بنوع من الاستقلال والحرية في ولايتهم ، وبمرور الزمن وما وقع من احداث واضطرابات في فرنسا من جهة ، وبعد المسافة بين برشلونة وفرنسا من جهة أخرى تحول الثغر الفرنجي إلى إمارة نصرانية ، عرفت فيما بعد بامارة قطلونية ، والتي اندمجت بعد ذلك في مملكة أراغون[٢] .

---

(١) محمد محمد مرسي : دولة الفرنجة وعلاقتها بالامويين في الأندلس ، ص ١٦٨ - ١٧٠ .
(٢) محمد محمد مرسي : المرجع السابق ، ص ١٧١ .

وقد أسهمت امارة برشلونة بعد ذلك في تدعيم الحروب الصليبية ضد مسلمي الاندلس ، اذ كانت قاعدة هامة من قواعد القوى الصليبية في شمال شرق الاندلس ، ومنها خرجت كثير من الحملات الصليبية لغزو بلاد المسلمين .

ذلك أنه منذ أوائل القرن الحادي عشر الميلادي سيطرت على برشلونة أسرة آل برنجير وقد حكمها مؤسس هذه الأسرة الكونت رامون برنجير الكبير (٤٢٧-٤٦٩هـ/١٠٣٥-١٠٧٦م)، وفي عهده اتسعت هذه الامارة فضمت اليها ارقلة وشرطانيه ثم ضمت اليها ولاية قرقشونة الفرنجية في الناحية الاخرى من جبال البرينية ، وذلك بشرائها من ابنتي صاحبها الكونت روجر الثالث ، وكان لضمها أثر هام في اعادة الصلة بين الثغر القوطي القديم وجنوبي فرنسا ، اذ كانت الجسر الذي تدفقت من خلاله جموع الصليبيين الفرنسيين الى الاندلس[١] .

ويذكر بينتر PINTER ان جماعات من المحاربين الفرنسيين قصدت الاندلس منذ اوائل القرن الحادي عشر الميلادي ، ففي سنة ١٠١٨م قاد روجر التوني أمير النورمان قواته لمحاربة المسلمين الاندلسيين ، وفي سنة ١٠٣٣م هرع امراء برغندية بقوات كبيرة نحو الاندلس للغاية ذاتها ، وفي سنة ١٠٦٣م قاد جيو جفري دوق اكتانيا حملة عسكرية نحو الاندلس ، وفي سنة ١٠٦٥م قصدها كونت شالون في جماعة من الفرسان ، وفي سنة ١٠٧٣م زحف إبل كونت روسي بقواته لتحقيق ما أنجزه اسلافه ، ثم شهدت ١٠٨٥م وفود حملات كبيرة بقيادة عدد من امراء برغندية وبرفقة ريموند كونت تولوز[٢] .

غير أن اهم حملة صليبية تركت صدى واسعا في تاريخ الاسلام في الاندلس إبان القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي هي الحملة الصليبية التي غزت مدينة بربشتر الواقعة شمال شرق سرقسطة وذلك عام ٤٥٦هـ/١٠٦٤م .

ويبدو ان هدف الحملة كان لدعم القوى النصرانية في أراغون ونافار ، لاسيما بعد الاحداث التي تمخضت عن موقعة جرادوس Grados ٤٥٥هـ/١٠٦٣م التي وقعت بين ملك أراغون راميرو الاول والمسلمين بقيادة

---

(١) محمد عنان : دول الطوائف ص ٤٠٧

(٢) Sidney Pinter; A History of the midle ages p, 193.

المقتدر بن هود ملك سرقسطة ، والتي سقط فيها راميرو قتيلا ، مما أحنق البابا اسكندر الثاني فدعا الى تجهيز حملة صليبية فرنسية ضد المسلمين في شمال الاندلس[1] .

وتجدر الاشارة إلى اختلاف المصادر الأوروبية حول أسم قائد الحملة الذي تسميه الرواية العربية البيطين فالبعض يرى أنه ابلس دي روسي ، والبعض يرى أنه الكونت بلدوين دي فلاندس ، الذي كان وصيا على فيليب الأول ملك فرنسا ، وان قواد الفرق التي عملت تحت إمرته هم :

١ ـ جيوم دي مونتري حامل شعار البابوية الذي أرسله البابا على رأس فرقة من الفرسان الايطاليين .
٢ ـ سانشو راميرو ملك أراغون الذي خلف والده القتيل في معركة جرادوس .
٣ ـ الكونت اورخيل ابن اخي ملك اراغون وقائد الجيوش القطلانية .
٤ ـ البارون روبرت كرسبين قائد جيوش جنوب فرنسا .
٥ ـ جي جيوفروا قائد جيوش بواتييه وبوردو[2]

ويؤكد دوزي DOZY ان المقصود باسم البيطين هو جيوم دي مونتري معتمدا في ذلك على ما أورده ابن حيان في المقتبس ، حيث ذكر أنه قائد خيل روما ، وهو الوصف الذي ينطبق على جيوم دي مونتري النورماندي ، فقد كان قائدا لفرسان البابا اسكندر الثاني ١٠٦١ م ـ ١٠٧٣ م[3] .

بيد أن احمد مختار العبادي يشير الى ان بلدوين دي فلاندس كان قد اشتهر في الحروب الصليبية في المشرق باسم بغدوين فمن المحتمل ان نفس هذا الاسم قد عرفه الاندلسيون في المغرب الاسلامي وحرفوه إلى بيطين[4] .

---

(١) ستيفن رنسمان : الحروب الصليبية ، ج ١ ، ص ١٤٦ .
(٢) انظر ابن الكردبوس : تاريخ الأندلس ، تحقيق أحمد مختار العبادي ، ص ٦٩ ، حاشية رقم (٢) .
(٣) Spanish Islam, p, 637.
وانظر أيضا : Jan read; The moors in Spain and Portugal, pp, 103-104 Scott; History of the moorish empire in Europe; vol 11. pp, 155-156.
(٤) انظر ابن الكردبوس : تاريخ الأندلس : ص ٧١ الحاشية .

غير أن الباحث يميل إلى القول بان المقصود به هو جيوم دي مونتري وهو القائد الذي ينطبق عليه وصف ابن حيان من انه قائد خيل روما ، وكان ابن حيان معاصرا لواقعة بربشتر ويبدو انه نقل هذه المعلومة من شهود عيان شاهدوا مأساة المدينة أو استردادها بعد ذلك[1] .

ومهما يكن الاختلاف حول اسم قائد الحملة الصليبية ، فقد كانت هذه الحملة مشكلة في معظمها من الفرنسيين والنورمان بلغ تعدادها عشرة آلاف ، وفي رواية أخرى اربعين الف مقاتل ، وقد حشدت هذه القوات في ولاية نورمانديا الفرنسية ، وكان النورمان قد استقروا بها بموافقة ملك فرنسا شارل الأبله ، ومما يؤكد الطابع الصليبي للحملة ان البابا اسكندر الثاني قد شجع على قيامها ووعد ببذل الغفران لكل من يشترك فيها . وقد نزلت الحملة في قطالونيا ، ثم قصدت مملكة سرقسطة ، وكان يحكمها آنذاك المقتدر بن هود ثم سارت الى وشقة ، التي استعصت على الغزاة لحصانتها فقصد الصليبيون مدينة بربشتر الواقعة على فرع صغير من فروع نهر أبرو بين مدينتي لارده ووشقة الى الشمال الشرقي من سرقسطة[2] .

ولم يفت المؤرخين المسلمين الطابع الصليبي للحملة ، فقد فطن الحميري الى جنس الغزاة وانهم من الفرنسيين والنورمان فهو يقول (وبربشتر من امهات مدن الثغر الفائقة الحصانة والامتناع وقد غزاها على غرة من قلة عدد من اهلها وعدة أهل غاليش والروذمانون[3] ويعني بغاليش فرنسا والروذمانيين النورمان الذين استوطن بعضهم فرنسا كما أشرنا إلى ذلك سابقا .

ويمدنا المؤرخ الاندلسي الكبير ابن حيان بوصف مؤثر لعملية الحصار ، ثم ما تلى ذلك من اقتحام للمدينة ، ويصف بدقة الفظائع التي ارتكبها الصليبيون مع اهالي المدينة وكان هؤلاء قد فقدوا في بداية الحصار اثناء قتالهم مع حامية المدينة

---

(١) انظر ابن بسام : الذخيرة ، ق٣ ، ج١ ، ص١٨٢ .

(٢) محمد عنان : دول الطوائف ص ٢٧٤-٢٧٥ وانظر عبد الرحمن الحجي : التاريخ الاندلسي ص ٣٦٠-٣٦١ وكذلك :

Setton, K.M; A History of the Crusades, the University of Wisconsin Press, 1969, vol 1, p 38 .

(٣) الروض المعطار ، ص ٩٠ .

خمسمائة فارس ، ثم نجحوا في اقتحام المدينة الخارجية غير ان الخطر حل بالمدينة ، عندما اكتشف الغزاة بواسطة بعض الخونة قناة مائية تحت الارض تصل بين النهر والمدينة ، يعتمد عليها السكان في شربهم فاسقط الصليبيون فيها صخرة كبيرة سدتها ، فانقطع الماء عن اهل المدينة ، وكانت تلك نكبة جسيمة لهم ، يقول ابن حيان في وصفه للحال التي آل اليها المحصورون (بلغني أنه كانت المرأة تطلع من فوق سور المدينة فتنادي من يدنو اليها من الكفرة عن جرعة ماء لنفسها او لطفلها فيقول لها : هاتي ما معك . القي الي ما يرضيني أسقك فتلقي اليه ما عندها من كسوة او حلية او مال ، وتدلي نحوه ما حضرها من قربة او آنية في رشاء فتغيث به نفسها او طفلها ، وعرف الطاغية قائد الحملة ذلك فنهى رجاله عنه وقال اصبروا وقتا ويؤخذون جملة . . .)[1] .

ويبدو ان الوضع ازداد سوءاً وكرباً ، حتى اضطر اهالي المدينة الى طلب الامان مقابل تسليم المدينة ، وان يخرجوا عنها بانفسهم دون اموالهم فوافق الغزاة ، وخرج أهل المدينة في حشد كبير أخاف قائد الغزاة ، وخشي أن تدركهم الحمية فيقاتلوه ، فامر بقتل قسم كبير منهم ليخفف من اعدادهم الكبيرة ، فسقط منهم ستة آلاف قتيل ، وكان قد مات كثير من أهالي المدينة أثناء ازدحامهم على الأبواب سراعا إلى ارواء ظمئهم ، وأكثرهم من النساء والأطفال وكبار السن ، ثم أمر القائد الصليبي ان يعود ما تبقى منهم الى دورهم ، حيث اقتسم الغزاة دور المدينة فيما بينهم فكان كل جندي من الغزاة يأخذ الدار بما فيها من أنفس وأموال ، وارتكب الصليبيون أثناء ذلك من هتك الأعراض ، وارتكاب الفواحش ما تأنفه النفوس ، وكان كل هذا يجري امام أعين ذوي الضحايا غلوا في التعذيب وتشفيا من المسلمين[2] . ومن بين ما ارتكبوه من صنوف الوحشية أن كثيرا من الصليبيين سعوا في سبيل الحصول على ما ظنوا أنه مخبأ من المال والكنوز ، الى قطع اعضاء ضحاياهم اربا اربا ، واحراق اطرافهم بالنار ، وقذف

---

(١) ابن بسام : الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة ، ق٣ ، ج١ ، ص١٨٢-١٨٣ فيما نقله عن ابن حيان .

(٢) ابن بسام ، نفس المصدر والقسم والجزء ص١٨٤ وما بعدها

بعضهم في الزيت المغلي ، كما أن النساء لم يسلمن من الاغتصاب أمام أنظار أزواجهن وإخوانهن[١] .

وكان قد التجأ إلى قصبة المدينة نحو سبعمائة رجل من حامية المدينة ، غير انهم لم يسلموا من المصير المهلك ، فقد استسلموا وخرجوا وقد تغيرت وجوههم والوانهم من العطش والجوع حتى زهد الغزاة في أسرهم فأخلوا لهم الطريق فخرجوا يريدون مدينة منشون وهي أقرب مدن الاسلام اليهم ، غير أنه لقيتهم سرية من خيل النصارى لم يشهدوا اقتحام المدينة ، ولا علموا بحال هؤلاء المسرحين فابادوهم عن بكرة أبيهم إلا من كتبت له النجاة ففر بجلده[٢] .

ومن المؤلم فوق ذلك ما تسهب في ذكره بعض المصادر الاسلامية عن المقادير الهائلة من الغنائم والسبي التي نالها الصليبيون بعد هذه النكبة الفادحة لمسلمي بربشتر ، فيذكر ابن حيان ان نصيب القائد الصليبي كان الفا وخمسمائة جارية كلهن أبكار ، ومن الحلي والكسوة والوطاء خمسمائة حمل ، وانه لما عزم على العودة الى بلاده تخير من بنات المسلمين الجواري الابكار والثيبات ذوات الجمال وآلاف من الغلمان وحملهم معه ليهديهم لمن فوقه من ملوك وأمراء أوروبا[٣] ، ويذكر ابن عذاري نقلا عن البكري أن الصليبيين اختاروا من أبكار سبي المدينة ، وأهل الحسن من نسائها سبعة آلاف جارية اهدوهن إلى صاحب القسطنطينية[٤] .

وبهذا يتبين لنا ماأسفرت عنه هذه الحملة الصليبية من مأساة عميقة ونكبة مروعة لاتوصف ، حتى قيل أن ضحاياها بلغوا أربعين ألفا ، ورغم أن ماذكر من أعداد القتلى والأسرى والسبايا قد يكون مبالغا فيه ، إلا أن ماوقع من الوان القتل والتنكيل والإجرام الذي ارتكبه الصليبيون لاتضاهيه أي وحشية سوى ماارتكبه اخوانهم من الصليبيين في المشرق لدى اقتحامهم بيت المقدس .

---

(١) Scott; op. cit, vol 11 p, 136.

(٢) ابن بسام : المصدر السابق ق٣ج١ ص١٨٥ .

(٣) ابن بسام : المصدر السابق ق٣ج١ ص١٨٢ وما بعدها .

(٤) البيان المغرب ، ج٣ ص٢٥٣ وانظر الحميري : الروض المعطار ، ص٩٠

ولعل من الغريب أن نذكر أن البابا اسكندر الثاني الذي بارك هذه الحملة الوحشية ، كان قد كتب إلى أساقفة أسبانيا أثناء توجه الحملة المذكورة اليها ، يذكرهم ما بين المسلمين واليهود من اختلاف تام اذ اعتبر المسلمين هم الد أعداء النصرانية[1] .

وعلى أية حال فقد هزت هذه المصيبة العظمى نفوس المسلمين ولفتت انظارهم الى اهمية التكاتف ووحدة الصف ، فسارع ابن هود ملك سرقسطة بمساندة المعتمد ملك اشبيلية وقرطبة ، وغيرهما من ملوك الطوائف من المسلمين الى تجهيز حملة عسكرية لاسترجاع المدينة المنكوبة ، والانتقام ممن اقام بها من الصليبيين ، وكان هؤلاء قد تركوا بها نحو ألف وخمسمائة فارس ، والفين من الرجالة ، واستوطنها عدد كبير من النصارى ، وقد نجح المسلمون في اقتحام المدينة سنة ٤٥٧هـ/١٠٦٥م ، وقتلوا من الصليبيين الفا وخمسمائة مقاتل وسبوا جميع من كان بها من نسائهم واولادهم ، وتقدر بعض الروايات عدد السبي الذي غنمه المقتدر بن هود ملك سرقسطة بخمسة آلاف سبية[2] .

وتجدر الاشارة الى ما قام به الرهبان الكولونيون ـ (نسبة الى دير كلوني الذي أسسه وليم التقي دوق اكوتين في حوض الرون الاعلى سنة ٩١٠م)ـ وذلك بصورة مبكرة ابان القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي من تشجيع وحث لنبلاء فرنسا على تنظيم حملات عسكرية ضد مسلمي الاندلس ، الى جانب ما كانوا يسعون إليه من نشر نظامهم الديني في أسبانيا[3] . وسوف نرى أن الرهبان والأساقفة قد اسهموا اسهاما واسعا في اثارة الروح الصليبية وتدعيمها من خلال اشتراكهم انفسهم في الحملات العسكرية ، وكيف أدى بهم الحال الى تكوين جماعات دينية محاربة كان لها أثر كبير في تاريخ الحرب بين المسلمين والنصارى .

---

(١) رنسيان : الحروب الصليبية ج ١ ص ٢٠٩ .

(٢) ابن بسام : المصدر السابق ق ٣ ج ١ ص ١٨٩ ـ ١٩٠ ـ وانظر مؤلف مجهول : الحلل الموشية ص ٧٦ ـ الحميري : الروض المعطار ، ص ٩٨ .

(٣) Sidny Pinter; op. cit. p, 193

وفي أوائل القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي حدثت تغيرات حاسمة في موازين القوى بين المسلمين والنصارى اذ انه في الوقت الذي سقطت فيه الخلافة الاموية سنة ٤٢٢هـ/١٠٣٠م أخذت القوى النصرانية في الشمال في النمو والتعاظم حيث تمكن سانشو (شانجه) ملك نافار (بلاد البشكنس) من توسيع نفوذه وبسطه على كافة المناطق المسيحية في شمال اسبانيا ، وبعد وفاته ٤٢٧هـ/١٠٣٥م قسمت مملكته بين ابنائه الاربعة وكان احدهم ويدعى فرناندو أقوى اخوته وأوسعهم ملكا[١] وليس هنا مجال التوسع فيما دار بين هؤلاء الاخوة من حروب اهلية أدت الى تمكين نفوذ فرناندو وظهوره كأقوى زعيم نصراني .

ويمكن القول ان فرناندو الاول بن سانشو (ت٤٥٨هـ/١٠٦٥م) الذي كان يحكم قشتاله وليون وجليقية واشتوريش ، كان يمثل في سيرته وسياسته تجاه مسلمي الاندلس رمزا صليبيا واضحا ، وبداية جلية للتوسع المسيحي ، فقد نجح في فرض أتاوة سنوية على عدد من ملوك الطوائف المسلمين ، وطلب من ملك اشبيليه المعتمد بن عباد ان يسمح له بنقل رفات القديسة جوستا ، وكانت هذه القديسة قد قتلت على أيام الامبراطور دقلديانوس ، ورغم ان رُسله لم يعثروا على رفاتها ، الا ان احدهم زعم أنه عثر على رفات القديس اسيدور فحمل من اشبيليه الى ليون ، حيث دفن في احتفال كبير في الكنيسة التي سميت بعد ذلك باسم كنيسة القديس اسيدور وذلك سنة ٤٥٥هـ/١٠٦٥م ، والى جانب ذلك كان فرناندو حريصا على زيارة قبر القديس ياقب قبل اعتزامه مهاجمة قلمرية التي استولى عليها بعد حصار طويل سنة ٤٥٦هـ/١٠٦٣م[٢] .

مثل هذا السلوك الديني والطقوس الصليبية التي مارسها هذا الملك تنبيء عن تطور الاحوال التي بلغها ملوك الاسبان النصارى ، واعتزامهم على تأصيل

---

(١) انظر بالتفصيل عن تلك الأحداث ، محمد عنان : دول الطوائف ص ٣٧٦ ومابعدها - عبدالرحمن الحجي : التاريخ الأندلسي ، ص ٣٢٧ - ٣٢٨ - سعيد عاشور : أوروبا العصور الوسطى ج ١ ، ص ٥٤٣ .

(٢) رينهارت دوزي : ملوك الطوائف ، ترجمة كامل كيلاني ص ١٧٢ - ١٧٣ - محمد عنان : دول الطوائف ص ٣٨٤ - ٣٨٥ .

وتكريس الروح الصليبية في نفوسهم ونفوس شعبهم في كفاحهم ضد مسلمي الاندلس .

وسيرة فرناندو الخاصة تلقي ضياء كبيرا على ما كان عليه من تعصب ديني وما كان يعتلج في نفسه من مشاعر الروح الصليبية ، فقد كان يمضي وقتا طويلا في مجالسة الرهبان في دير ساهاجون ، ويواظب على اداء الصلاة في كنيسة ليون ، الى جانب علاقاته الوثيقة مع البابا اسكندر الثاني[١] .

ومن السهولة ان نستنتج من خلال حياته الصليبية الواضحة ، ان جيوشه ضمّت كثيرا من الجماعات الصليبية الوافدة على اسبانيا ، فان البابا اسكندر الثاني الذي كانت تربطه بفرناندو علاقات وثيقة ، كان هو وراء الحملة الصليبية التي هاجمت بربشتر سنة ٤٥٦هـ/١٠٦٤م . والبابا المذكور أيضا كان من أحرص الباباوات على تشجيع الصليبيين الفرنسيين على الانخراط في سلك الحروب الصليبية ضد مسلمي الاندلس .

ولعل ما يؤكد ما ذهبنا اليه ان الفونسو السادس ملك قشتاله وهو ابن فرناندو المذكور نجح بمساندة الصليبيين الفرنسيين في الاستيلاء على طليطلة سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م[٢] ومن ابرز القادة الفرنسيين اسهاما في مساعدة الفونسو على تحقيق غايته تلك قريبه هيو الاول دوق برجنديا[٣] وهي احدى الولايات الواقعة جنوب شرق فرنسا ويتضح الطابع الصليبي الفرنسي فيما تمخض من نتائج عن سقوط مدينة طليطلة ، اذ اصبحت بها الكنيسة الرئيسية في اسبانيا ، وعين رئيسا لها الاسقف الفرنسي برنار عميد دير ساهاجون وذلك بتأثير من زوجة الملك الفونسو السادس الملكة كونستانس ، وهي فرنسية من بورجونيه وقد أبدى ذلك الاسقف المتعصب حقده الشديد وروحه الصليبية حينما حول جامع طليطله الى

---

(١) أشباخ : المرجع السابق ص ٢٢ ، وانظر عادل بشتاوي : الأندلسيون المواركة ص ٤٦ . دوزي : ملوك الطوائف ترجمة كامل كيلاني ص ١٧٩ ـ ١٨٠ .

(٢) Pinter; op cit, p, 200

(٣) سعيد عاشور : أوروبا العصور الوسطى ج ١ ، ص ٤٣٨ نقلا عن :
Flish; L'europe occidentale, p.p 552-553.

كنيسة رغم ان المسلمين اشترطوا على الملك الفونسو قبل تسليم المدينة ان يبقى جامعهم على حاله[1] .

وبهذا أحرز النصارى كسبا كبيرا في استيلائهم على طليطلة ، والتي كانت قبل الفتح الاسلامي حاضرة الدولة القوطية وكنيستها كبرى الكنائس القوطية ايضا ، وهم بذلك قد أكدوا على أهمية صبغ حملاتهم وانجازاتهم العسكرية بالطابع الصليبي كحالة استنفار شاملة لطاقاتهم في صراعهم مع المسلمين ، وبسقوط طليطلة هيمن النصارى على البلاد الواقعة على نهر التاجو . وكان المسلمون يسمونها الثغر الأدنى في حين ان سرقسطة واعمالها كان يطلق عليها الثغر الاعلى ، وبهذا بلغ النصارى وسط الاندلس واضحوا يهددون اطراف الاندلس الاسلامية من الشرق والغرب والشمال ، وسقوط طليطلة يمثل منعطفا حاسما في تاريخ الاسلام في الاندلس فقد نجمت عنه تغييرات سريعة وهامة في محيط ملوك الطوائف ، الذين روعتهم الكارثة ورأوا انهم ليسوا ببعيدين عن مثل هذا المصير الوبيل ، فرأوا ضرورة العمل على الحد من الخطر النصراني المتوثب ، ويبدو أنهم شعروا بضعفهم امام القوى النصرانية المتنامية ، فولوا وجوههم الى العدوة المغربية يستنجدون باخوانهم من المرابطين الذين نجحوا في اقامة دولتهم الظافرة في الزاوية الشمالية الغربية من افريقيا بزعامة سلطانهم يوسف بن تاشفين .

ويبدو ان نجاح الفونسو السادس في الاستيلاء على طليطلة ، قد شجعه على محاولة التهام أجزاء أخرى من البلاد الاسلامية فسارع لحصار سرقسطة ، كما ان الكونت برنجار ريموند صاحب برشلونة طمع في الاستيلاء على طرطوشه فسعى الى حصارها أملا في احتلالها ،

غير أن دخول المرابطين الى الاندلس أزعج الفونسو السادس ، يقول الحميري (ولما تحقق ابن فرذلند - يعني الفونسو السادس - من جواز يوسف استنفر جميع أهل بلاده وما يليها وما وراءها ورفع القسيسون والرهبان والاساقفة صلبانهم ونشروا أناجيلهم فاجتمع له من الجلالقة والافرنجة وما يليهم ما لا يحصى

(١) ابن بسام : الذخيرة ق٤ . ج١ . ص١٦٨ - وانظر محمد عنان : دول الطوائف ص٣٩٧ .
Jan read; The moors in Spain, p, 123

عدده[1]. وكان من الطبيعي نتيجة لذلك ان تدفقت عليه جموع هائلة من المحاربين الصليبيين من جنوب فرنسا، من لانجدوك وجويانه وبرجونيه وبروفانس، يقودهم عدد من الكونتات والاساقفة وكان من بين الكونتات ريموند بن جيوم كونت برجونيا العليا، والكونت هنري صاحب برجونيه السفلى، وكلاهما ينتمي الى اسرة آل كابيه ملوك فرنسا، وكان لهما بعد ذلك نشاط عسكري هام دعما به الجبهة النصرانية في قتالها مع المسلمين[2].

ولسنا في حاجة الى التفصيل في الحديث عن معركة الزلاقة الواقعة شمال شرق بطليوس والتي وقعت بين الفونسو وجيشه وأعوانه من الصليبيين الفرنسيين وبين الجيش الاسلامي بقيادة يوسف بن تاشفين وجيشه من المرابطين واخوانهم من الاندلسيين بقيادة ملوك الطوائف والتي أحرز فيها المسلمون نصرا كبيرا على النصارى الصليبيين سنة ٤٧٩هـ/١٠٨٦م، وأنقذوا بذلك الاندلس من براثن الصليبيين، فامتد عمر الوجود الاسلامي في الاندلس الى ما شاء الله.

إن هذه الهزيمة الساحقة التي لحقت بالفونسو وجيشه، جعلته يشعر أنه أمام قوة اسلامية فتية، قد تخمد نار النصرانية في الاندلس الى الأبد، فسارع مجددا يستصرخ ملوك وأمراء النصارى خلف جبال البرينيه، ويثير في نفوسهم الروح الصليبية للوقوف معه امام المتغيرات الطارئة على الساحة الاسلامية، المتمثلة في دخول المرابطين الى أرض الاندلس، والذي لن يوقف زحفهم الا مدد صليبي جديد يقف على قدم المساواة مع القوة المرابطية الظافرة.

ومن هذا المنطلق نجد انه إبان الفترة القريبة اللاحقة لمعركة الزلاقة، قدمت الى معسكر الفونسو السادس جموع كبيرة من الفرنسيين يتقدمهم امير برجونيه الدوق اودو ـ وهو صهر الفونسو وعمته هي الملكة كونستانس زوجة الملك الفونسو ـ في جيش من الفرنسيين، وقدم أيضا الكونت دي سان جيل امير

(١) الروض المعطار، ص٢٨٩.
(٢) اشباخ: المرجع السابق، ج١، ص٢٤٩ـ٢٥٠ وانظر:
Dozy; Spanish Islam. p, 696.

تولوز ، الى جانب قوات كبيرة من نورماندي ، وبواتو ، ومن انحاء متفرقة من فرنسا[1] .

ولم يكن الفونسو السادس لينسى دور حلفائه من الفرنسيين في قتاله مع المسلمين ، ولا ما أسهموا به من جهود كبيرة في اعادة التوازن بين قوى النصرانية والاسلام في الجزيرة الايبيريه، ولهذا كان يغدق عليهم كثيرا من عطفه، ويعهد الى بعضهم بتولي الحكم في كثير من المناطق الخاضعة له ، ويسعى الى توثيق عرى الصداقة معهم بشتى صورها ، ومنها ما يذكر انه ضم الى أسرته الكونت ريموند بن جيوم كونت برجونيا العليا ، وقريبه الكونت هنري كونت برجونيا السفلى ، فزوج الأول ابنته أوراكا ، وكان هذا بمثابة مكافأة له على ما قدم من جهد في محاربة المسلمين في البرتغال ، ونجاحه في انتزاع مدينة شنترين منهم سنة ٤٨٦هـ/١٠٩٣م ، فعينه حاكما على هذه المدينة ، وجعل حاكمها السابق سواريو منديز تابعا له ، غير ان ريموند لم يظل طويلا على ولايته في البرتغال فقد نُدب لحكم مملكة جليقية ، فخلفه على حكمها ٤٨٧هـ/١٠٩٤م قريبه الكونت هنري سالف الذكر ، والذي زوجه الملك الفونسو السادس أيضا ابنته غير الشرعية تيريزا ، وكان يُطلق عليه الدوق بوصفه قائد الجيش ، وكانت المنطقة التي حكمها هنري تقع بين اسفل نهر التاجه ونهر منهو ، وكانت امارة البرتغال آنذاك خاضعة لمملكة قشتالة وتؤدي اليها الجزية ، ونظرا للمكانة الرفيعة التي تمتع بها هنري لدى ملوك قشتاله ، فقد منحوا حكم البرتغال له ولابنائه من بعده ، وهو بدوره قد نال ثقتهم بما تميز به اثناء ولايته من كفاح ونضال صليبي ضد المرابطين في غرب الأندلس[2] .

ويمكن القول أن الكونت ريموند بن جيوم ، والكونت هنري المذكور ، وهما قريبان للملكة كونستانس كما ذكرنا ، قد أسهما من خلال مكانتهما السياسية والعسكرية في تدعيم أواصر الصلة بين ملوك اسبانيا وبين امراء وكونتات فرنسا ،

---

(١) محمد عنان : دول الطوائف ، ص٣٣١ ـ وانظر كتابه الآخر : مواقف حاسمة في تاريخ الاسلام ص٢٩١ .

(٢) أشباخ : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٤٩ ـ ٢٥٠ ـ وانظر أيضا .
Pinter: op. cit, p 194.

هذا بالاضافة الى الدور الخطير الذي لعبه أسقف طليطلة برنار في إيقاد الروح الصليبية في انحاء فرنسا ، وتدعيم التوجه الصليبي ضد المسلمين في الاندلس .

ونجد من خلال دراستنا لمعركة أقليش الواقعة شرق طليطلة ـ والتي دارت بين جيش الفونسو بقيادة ابنه شانجه ، وبين المرابطين بقيادة تميم بن يوسف بن تاشفين ٥٠١هـ/١١٠٨م ، وكرر فيها المرابطون انتصارهم العظيم في الزلاقة ، وسقط فيها قتيلا ابن الفونسو ـ نجد من بين قادة النصارى القائد الفرنسي الكبير رايموند البرجوني زوج اوراكا ابنة الفونسو السادس[١] .

قام المسلمون من المرابطين بقيادة محمد بن الحاج والي سرقسطة بغزو برشلونة ٥٠٨هـ/١١١٤م ، وقد حقق ابن الحاج نصرا كبيرا على النصارى ، ثم قفل عائدا الى سرقسطة غير انه أصطدم بقوة كبيرة من النصارى ، حيث دارت بين الطرفين معركة شديدة انهزم على اثرها المسلمون ، واستشهد فيها ابن الحاج ، فتولى على امارة سرقسطة من بعده ابو بكر بن ابراهيم بن تيفلويت ، فسار هذا بقواته لاخذ الثأر من النصارى ، فهاجم برشلونة فخرج للقائه ملكها رامون برنجير الثالث في قوات كبيرة تساندهم قوة صليبية من أربونة فدارت الدائرة على النصارى وسقط كثير من الصليبيين في أرض المعركة[٢] .

وفي نفس السنة قام الكونت برش على رأس حملة صليبية مكونة من قوات فرنسية وانجليزية لغزو مدينة تطيلة شمال غرب سرقسطة ، حيث نجح في احتلالها بطريق الخدعة فأقطعه اياها ملك أرغون الفونسو المحارب على أن يدفع له جزية سنوية ، ومن ثم وفدت اليها جموع كبيرة من الأسبان والفرنسيين فقطنوها ، وشجعهم على ذلك الفونسو المحارب الذي منح قوادهم امتيازات كبيرة[٣] .

وفي اوائل ٥٠٩هـ / ١١١٥ م تقريبا غزا جيش صليبي من برشلونة جزيرة ميورقه ، وسانده في ذلك محاربون من بروفانس وشاركهم البيزيون بالسفن ، وقد سلك الصليبيون مسلكا وحشيا مع اهالي الجزيرة غير انهم لم ينعموا بحكم

---

(١) خليل السامرائي : علاقات المرابطين بالممالك الأسبانية بالأندلس والدول الإسلامية ص ٢١٧ .
(٢) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب، ص ٢٣٧ .
(٣) أشباخ : المرجع السابق، ج ١ ، ص ١٥٠ .

الجزيرة ، فقد نجح المرابطون في استردادها وانتقموا من الصليبيين لما ارتكبوه من مجازر وحشية مع المسلمين[1] .

وتجدر الاشارة الى ان من اعظم ما قدمه الفرنسيون لتدعيم الحرب الصليبية ضد مسلمي الاندلس ، هو قيامهم بمساندة جهود الفونسو المحارب ملك أرغون في مشروعاته الصليبية ، اذ ان جهود الفرنسيين ومعاونتهم له في حروبه مع المسلمين تشكل ظاهرة صليبية واضحة ، لا يمكن ان يغفلها المؤرخ المتتبع لتاريخ الحملات الصليبية في الشمال الشرقي من الاندلس ، فكان دور الفرنسيين حاسما في استيلاء الارغونيين على سرقسطة ، ولكن كيف تم ذلك ؟

كان الاستيلاء على مدينة سرقسطة الواقعة في الشمال الشرقي للاندلس يمثل هدفا صليبيا جدّ الفونسو المحارب في تحقيقه ، وعمل على تنفيذه ، ويبدو انه شعر بالحاجة الى مساندة الاوربيين فبعث برجاله يستصرخهم لمعاونته في انتزاع مدينة سرقسطة من أيدي المسلمين فقدم عليه منهم (أمم كالنمل والجراد)[2] . وقيل ان عدد الفرنسيين بلغ خمسين ألف مقاتل[3] . وكان للبابويه دور واضح في تكوين هذه الحملة فقد عُقد مجلس كنسي في مدينة تولوز برئاسة البابا غيلاسيوس ٥١٢هـ/١١١٨م وحضر الاجتماع طائفة كبيرة من المطارنة الفرنسيين والاسبان ، وتمخض الاجتماع عن تنظيم حملة صليبية شجع البابا الفرنسيين على الانضمام اليها ، واصدر صكوك الغفران لمن يشارك فيها من اهالي اقليم الميدي بجنوب فرنسا ، فتكون على اثر ذلك جيش لجب من الصليبيين الفرنسيين يتقدمهم كونت تولوز ، وكونت قرقشونة ، وغاستون الرابع البيرني وكان يحكم مقاطعة تضم اجزاء من جنوب غرب فرنسا ، الى جانب عدد كبير من النبلاء ، ثم سارت الحملة الفرنسية صوب الاندلس ، وانضمت الى جيوش الفونسو المحارب ومن ثم اتجه الجميع الى مدينة سرقسطة حيث ضربوا الحصار عليها[4]

(١) أشباخ : المرجع السابق ج ١ ، ص ١٤٩ .
(٢) ابن أبي زرع : المصدر السابق ١٦٣ .
(٣) الحميري : الروض المعطار ص ٣١٧ .
(٤) عادل بشتاوي : الأندلسيون المواركة ، ص ٣٧ ـ ٣٨ .

ويذكر ابن أبي زرع ان الصليبيين صنعوا ابراجا من الخشب تجري على بكرات زحفوا بها الى الاسوار لمهاجمتها ، كما انهم نصبوا لضرب المدينة عشرين منجنيقا تقذف الصخور والنار[١] .

وكان من أبرز القادة الفرنسيين اسهاما في عملية الحصار غاستون البيرني سالف الذكر ، وكان قد شارك في الحملة الصليبية الاولى في المشرق وأسهم في عملية حصار بيت المقدس ، واكتسب خلال ذلك مهارات وخبرات عسكرية أفاد منها في حصار مدينة سرقسطة ، ومثله ايضا غليوم السادس حاكم مونبيليه ، وكان هو الاخر قد شارك في الحملة الصليبية الاولى في المشرق ، فاظهرا خلال حصار سرقسطة جهدا ونشاطا كبيرين ، وكان من جراء ذلك الحصار الفعال الذي استمر سبعة أشهر أن سقطت المدينة في رمضان سنة ٥١٢ هـ / ١١١٨ م[٢] .

وكان لجهود الفرنسيين وما بذلوه من نشاط في سبيل احتلال المدينة اثره الكبير على الفونسو المحارب ، فاثابهم على ذلك وكافأ قوادهم بمنحهم اقطاعات في سرقسطة ، ومنح غاستون البيرني حي سرقسطة ، وكان يقطنه قبل ذلك النصارى المعاهدون ، وأسبغ عليه لقب « سيد سرقسطة »[٣] .

يتبين لنا من خلال ذلك تطور الدور الفرنسي في الحروب الصليبية ضد مسلمي الاندلس من دور المساندة الى دور الهجوم الفعال ، ويلاحظ ايضا اتساع المشاركة الصليبية لعدد من القادة الفرنسيين ليس في الاندلس فقط ، وانما في المشرق ايضا ، وان هؤلاء قد اسهموا بجهود مؤثرة في الحملة الصليبية الاولى التي نجحت في الاستيلاء على بيت المقدس ، وهو الامر الذي يؤكد دور فرنسا كراعية للحروب الصليبية ضد المسلمين في المشرق والمغرب ، فكما انها قدمت المساندة الصليبية للاستيلاء على البقاع المقدسة في بلاد الشام ، فهي أيضا تضطلع بدور رئيسي في مساندة الاسبان النصارى ضد مسلمي الاندلس .

---

(١) ابن ابي زرع : المصدر السابق ص١٦٣ .
(٢) عادل بشتاوي : المرجع السابق ، ص٣٨ .
(٣) اشباخ : المرجع السابق ج١ ، ص١٥٢ .

وتجدر الاشارة الى ان غاستون البيرني الملقب بسيد سرقسطة تشجع بعد ذلك على مواصلة دوره الصليبي في محاربة المسلمين ، فكان هو ومن معه من الصليبيين الفرنسيين سندا قويا للارغونيين ، وقد لقي مصرعه في احدى المواقع التي دارت بين الارغويين والمسلمين سنة ٥٢٤هـ ، وقد هلل المرابطون لمصرعه فحملوا رأسه الى غرناطه ، ورفع على سن رمح وطيف به في الاسواق ، وفي ذلك انشد احد الشعراء مادحا سلطان المرابطين علي بن يوسف ومشيرا الى مصرع غاستون الذي حرفه الى غشتون فقال :

بسعدك شبت في الاعادي لظى الحرب
فجاءك ما تهوى من الشرق والغرب

فخيلك قد القت بايلان بركها
وامضت على غشتون بالطعن والضرب

وجاءك منها رأس غشتون مخبرا
على جسد للرمح كفا على . . . .[1]

ومهما يكن فان الملك الفونسو المحارب بعد ان نجح في الاستيلاء على سرقسطة ، رأى ضرورة متابعة حروبه الصليبية ضد المسلمين في الشمال الشرقي من الاندلس ، وكان يرى انّ من اهم ما يجب عليه انجازه مد اطراف مملكته الى ساحل البحر الابيض المتوسط ، وان يؤمن لرعاياه سلامة الملاحة في نهر ابرو ، فعزم على الاستيلاء على ثغر طرطوشه ، الواقع على مصب النهر من ايدي المسلمين، وذلك بمهاجمته من البر والبحر ، وكان على الأرغونيين وحلفائهم من الفرنسيين ان يستولوا قبل ذلك على عدد من المدن الداخلية ، ومنها مدينة مكناسة ، ونجحوا في ذلك ، ثم زحفوا الى افراغه ، ويذكر ابن الاثير ان المرابطين هبوا لنجدة المدينة فسار اليها من قرطبة الزبير بن عمرو اللمتوني في الف فارس ، كما أسرع لنجدتها يحيى بن غانية أمير مرسية وبلنسيه في خمسمائة فارس ، وشارك في نجدة افراغه صاحب لارده عبد الله بن عياض في مائتي فارس ، وكان ابن غانية وابن عياض أول من وصل الى افراغه ، ويبدو ان الفونسو المحارب

---

(١) ابن عذارى : البيان المغرب ج٤ ، ص٨١ ، والفراغ في اخر البيت الثالث في المصدر .

احتقر عدد القوات المنجدة فبعث لقتالها قسما كبيرا من جيشه ، غير ان المسلمين استبسلوا في قتالهم فهُزم النصارى ، وسقط منهم في ارض المعركة عدد كبير .

ولما علم الفونسو بما دار على جيشه أسرع لقتال المسلمين فانتهز أهالي المدينة الفرصة فخرجوا من المدينة وشاركوا في القتال ، وفي نفس الوقت وصل الزبير بقواته وانضم للمسلمين فدارت الدائرة على الفونسو وجيشه من الأرغونيين والصليبيين الفرنسيين ، وكان من نتيجة ذلك أن مات الفونسو مفجوعا بعدها بعشرين يوما[١] .

وتذكر الروايات الاوروبية ان الفونسو المحارب عزم على افتتاح المدينة ٥٢٩هـ/١١٣٤م ، وصمم على ذلك وآثر ان يطبع حملته ضد المسلمين بطابع صليبي ، فامر ان يؤتى برفات القديسين الى المعسكر ، وان يتولى قيادة الصفوف الاساقفة والرهبان اسوة بالكونتات ، وتذكر ان المسلمين انهزموا اولا ، وان اهالي المدينة آثروا الاستسلام بشروط يسيرة ، غير ان الفونسو أصر على افتتاحها عنوة ، وان المرابطين جنحوا الى الخدعة ، فنصبوا كمينا للصليبيين اذ أغروهم بملاحقة قافلة من المؤن حتى اذا هاجموها إنقض عليهم المسلمون من كمائنهم فاوقعوا بهم ، وسقط في أرض المعركة كثير من الأرغونيين إلى جانب عدد كبير من الفرنسيين في مقدمتهم أساقفة روطة ووشقة واورجل[٢] .

ومع ان ابن الاثير اشار الى ان الفونسو توفى متأثرا بما وقع له من هزيمة مروعة ، الا ان المؤرخ الالماني اشباخ يذكر ان معظم الروايات النصرانية تتفق على ان الفونسو قتل في المعركة في ١٧ يوليو ١١٣٤م ، ولكن جثته لم توجد بين القتلى على الرغم مما بذل من جهود في سبيل البحث عنها[٣] . ونتيجة للغموض الذي لف مصير الفونسو المحارب فقد شبه SCOTT نهايته بنهاية آخر ملك قوطي ، وهو لذريق الذي هزم امام المسلمين بقيادة طارق بن زياد سنة ٩٢هـ/ ٧١٠ م[٤].

---

(١) الكامل في التاريخ : ج ٨، ص ٣٥١ وانظر ابن عذارى : البيان المغرب ج٤ ص٩٣.

(٢) أشباخ : تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين ج ١ ص ١٧٣ - وانظر أيضا :
Scott; History of the Moorish, vol. 11,p, 269
Jan read; the Moors in Spain, p. 151

(٣) أشباخ : المرجع السابق ج ١ ص ١٧٣ .

(٤) SCOTT: OP. CIT, P, 151 .

ومهما يكن فان من الواضح ان الفرنسيين قد اسهموا في هذه المعركة وفي غيرها من المعارك التي خاضها الملك الارغوني الفونسو المحارب ، وكان الفرنسيون بحق عضدا قويا لمملكة ارغون ، وسقط كثير منهم في ساحات الوغى تدفعهم إلى ذلك روحهم الصليبية إلى جانب المغانم والمكاسب الدنيوية ، التي نالها كثير منهم في ظل مملكة أرغون .

ولم تنقطع اطماع ارغون من الاستيلاء على البلاد والمدن الاسلامية المجاورة لها بمساندة الفرنسيين وغيرهم من الصليبيين فعقب وفاة الفونسو المحارب خلفه على الحكم اخوه راميرو الراهب ، الذي لم يستطع تصريف شئون الدولة ، فتنازل عن العرش لصهره كونت برشلونه واصبح رامون برنجير الرابع حاكما لبرشلونه وارغون ٥٣٠هـ/١١٣٧م ، وكان صليبيا يتلهف الى القضاء على الاسلام في الاندلس فاشترك مع القيصر ملك قشتاله في الاستيلاء على مدينة المرية سنة ٥٤٢هـ/١١٤٧م ، وشاركتها اساطيل من جنوة وبيزه الايطاليتين ، واسهم معهم في الحرب من فرنسا جيوم حاكم مونبيليه ، وبعد نجاح القوات الصليبية في الاستيلاء على المريه ، توجه الكونت رامون للاستيلاء على طرطوشه ، وساعده في ذلك ايضا الجنويون والبيزيون وجيوم صاحب مونبيليه ، وقد نجحوا في الاستيلاء على طرطوشه في شعبان ٥٤٣هـ/١١٤٨م ، ومنح رامون ثلثي المدينة الى الجنويين والبيزيين وصاحب مونبيليه نظير مساعدتهم له ، ولم يكتف رامون بما احرزه من نجاح ، بل غزا مكناسه ولارده وافراغه واحتلها جميعا سنة ٥٤٤هـ/١١٤٩م[١] .

وبهذا يتبين لنا مدى الجهد الواسع ، والنشاط الصليبي الكبير ، الذي قدمه الفرنسيون للقوى النصرانية سواء في ظل مملكة قشتاله ، او مملكة اراغون ، وهذه المساهمة الهائلة دفعت المؤرخين ومن بينهم بواسوناد BOISSONADE الى القول ان الحملات الصليبية الفرنسية التي دخلت الاندلس كانت اهم اسباب وقف تقدم المرابطين في الشمال خلال نصف القرن الذي اعقب معركة الزلاقة[٢] .

---

(١) يوسف اشباخ : المرجع السابق ج١ ، ص٢٣٥ وما بعدها .
هشام ابو رميله : علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الاسلامية ص٣٢١-٣٢٢ وانظر :
سعيد عاشور : اوروبا العصور الوسطى ج١ ، ص٥٤٨ .
(٢) عادل بشتاوي : المرجع السابق ص٣٧ .

وبعد نجاح الموحدين في الاستيلاء على الاندلس ، وأفول نجم المرابطين عنها لم ينقطع المدد الفرنسي عن الممالك النصرانية ، التي ظلت تعمل على محاربة المسلمين من غير كلل ولا ملل ، رغم انشغالها في بعض الفترات بنزاعاتها فيما بينها الا انها لا تلبث ان تتحد في مواجهة المسلمين ، والعمل على احتلال مناطقهم وقواعدهم شيئا فشيئا .

وفي عام ٥٩١هـ/١١٩٤م احرز الموحدون بقيادة خليفتهم يعقوب المنصور (٥٨٠-٥٩٥هـ/١١٨٤-١١٩٨م) نصرا كبيرا على جيوش قشتاله بقيادة ملكها الفونسو الثامن في موقعة الأرك الى الجنوب من طليطلة ، واعقب ذلك هدنة لم تستمر طويلا ، نجح خلالها الملوك الاسبان في ليون وقشتاله ونبره في ازالة الخلافات فيما بينهم ، وذلك سنة ٦٠٦هـ/١٢٠٩م ، وهو ما شجع ملك قشتاله الفونسو الثامن على استئناف قتاله ضد الموحدين بعد ان تعهد له ملكا ليون ونبره بامداده بالجند والمؤن ، وعزم بذلك على محو عار الهزيمة التي لحقته في الأرك ، فأخذ في مهاجمة وغزو المناطق الإسلامية في جيان وبياسة واندوجر[١] .

وعندما علم الخليفة الموحدي الناصر بن المنصور (٥٩٥-٦١٠هـ/١١٩٨-١٢١٣م) بغزوات النصارى وعيثهم في النواحي الاسلامية ، حشد قواته وجموعا من المتطوعة لمحاربة النصارى ، ونجح في الاستيلاء على حصن سربطره المنيع الواقع شمال شرق قرطبة ، وكان لهذه الخطوة اثر كبير على الجبهة النصرانية ، اذ أدت الى اشعال فتيل الحرب الصليبية ، فاسرع الفونسو الثامن الى الاستنجاد بملوك أوروبا ودعاهم الى مساندته ومحاربة اعداء الصليب ، فاستجابوا له وقدمت عليه اعداد هائلة من المحاربين الصليبيين ، ويذكر المراكشي أن نداءات الفونسو واستغاثاته بلغت القسطنطينية[٢] .

وكان على رأس البابويه آنذاك البابا انوسان الثالث ، وهو حبر متعصب للنصرانية ويتقد حماسا للقضاء على الاسلام في الاندلس ، فعمل على ازالة الخلافات بين ملوك اسبانيا وسعى الى استنفار ملوك اوروبا للحرب ضد

---

(١) اشباخ : المرجع السابق ج٢ ، ص١٥٦

(٢) المعجب ، ص٤٥٤ وانظر كذلك ابن ابي زرع : الانيس المطرب ص٢٣٧ .

المسلمين ، وكان مطران طليطلة رودريك على رأس البعثات التي ارسلها الفونسو الثامن لاستصراخ الصليبيين الأوروبيين[١] .

ومن الطبيعي ان نجد الفرنسيين في مقدمة المحاربين الصليبيين ، فقدم منهم الى الاندلس جمع عظيم يتقدمه جيوم اسقف بوردو ، وأسقف نانت ، الى جانب طائفة كبيرة من الأحبار والأساقفة الفرنسيين ، وانضم الى هؤلاء جيش كبير من المشاة من ولايات جويان وليموج وسانتونج وبري وبواتو وانجو وبريتانيا ، كما قاد ارنولد مطران اربونة جيشا من لانجدوك وبروفانس وبرجونية[٢] .

وعلى أية حال فلم يأت شهر محرم ٦٠٩هـ/يونيو ١٢١٢م حتى قدم على اسبانيا اكثر من عشرة آلاف فارس ومائة الف من المشاة ، وأمر البابا انوسان الثالث في روما بالصوم ثلاثة ايام تعاطفا مع الهدف الديني المتوخى من جمع تلك الحشود الصليبية واقيمت الصلاة لاجل ذلك ، وعمد الرهبان والراهبات الى ارتداء السواد والمشي حفاة ، وسارت المواكب الدينية في الطرقات خاشعة متمهلة بين كنيسة وأخرى ، والقى البابا خلال ذلك موعظة دينية طلب فيها من النصارى الدعاء التماسا لنصرة الأسبان والصليبيين على المسلمين[٣] .

وعلى الرغم مما تذكره الروايات النصرانية من انسحاب خمسين الفا من الصليبيين من المعسكر الاسباني بعد اقتحامهم قلعة رباح ، وأنهم سخطوا على الفونسو ملك قشتاله لانه لم يطلق لهم الحرية في قتل المسلمين الذين خرجوا من القلعة ، وان الفونسو استأثر وحده بغنائمها ، وما زعموا بعدم احتمالهم مناخ أسبانيا الحار[٤] . نقول رغم ذلك فان من تبقى من الصليبيين الأوروبيين كان ما يقارب خمسين الفا ، وقد سبقت الاشارة الى ان عددهم كان مائة الف من المشاة وعشرة آلاف فارس ، وكان من أبرز من بقي من الفرنسيين ارنولد أسقف اربونة ، والكونت تيوبالد بالاسكون .

---

(١) عادل بشتاوي : المرجع السابق ، ص٤٥ .
(٢) اشباخ : المرجع السابق ج٢ ، ص٣٥٩ ـ Pinter ; op, cit.,p, 195.
(٣) محمد عنان : عصر المرابطين والموحدين ق٢ ص٢٩٤
(٤) اشباخ : المرجع السابق ٢ـ ص٣٦٢-٣٦٣ .

ولسنا بصدد الافاضة فيما تم بين الطرفين اذ أحرز النصارى نصرا كبيرا على الجيش الموحدي في المعركة التي عرفت عند المسلمين بموقعة العقاب (الى الشمال الشرقي من قرطبة) وفي الرواية النصرانية بموقعة هضاب تولوسا Navas de Tolosa وكانت في صفر ٦٠٩هـ/يوليو ١٢١٢م .

وتجدر الاشارة الى ان معركة العقاب تمثلت خطورتها بما تمخض عنها من نتائج حاسمة على صعيد الجبهة الاسلامية في الاندلس ، فقد كانت إيذانا بتقلص سلطان المسلمين في الاندلس ، واحكام الطوق على دولة الاسلام فيها ، فاخذت المدن والحصون الاسلامية تتساقط في أيدي النصارى ، فقد نجح ملك قشتاله فرناندو الثالث بعد موقعة العقاب باقل من ربع قرن في الاستيلاء على قرطبة في شوال ٦٣٣هـ يونيو ١٢٣٦م ، كما نجح في الاستيلاء على اشبيليه بعد حصار طويل اذ سقطت في رمضان ٦٤٧هـ/١٢٤٨م ، واتخذها فرناندو عاصمة لمملكته ومركزا للمطرانية ، وهكذا أُسبغ على فرناندو الثالث لقب القديس من قبل ان تعترف البابوية بذلك ، لما قام به من جهود ضخمة في الاستيلاء على عدد من كبريات المدن وقواعد الاندلس الاسلامية[١] .

واذا كان القشتاليون قد نجحوا في توسيع حدودهم في وسط وجنوب الأندلس ، فقد انبرى خايمي ملك أرغون في شرقها إلى اعلان الحرب الصليبية ضد مسلمي شرق الأندلس ، ولم يفت البابا جريجوري السابع أن يسانده في مشاريعه واطماعه ، فاعلن الحرب الصليبية في أوروبا ودعا الفرنسيين وغيرهم للمشاركة في الاستيلاء على مدينة بلنسية ، فاجتمع لخايمي جيش كبير ، قدر بستين ألف راجل وعشرة آلاف فارس ، ومن بينهم جماعات فرسان الداويه ، والاسبتارية ، وفرسان قلعة رباح ، وجمع كبير من الفرسان وألف من المشاة والفرنسيين يتقدمهم مطران أربونه ، وبعد حصار طويل للمدينة سُلمت صلحاً في صفر ٦٣٦هـ/١٢٣٨م ، فدخلها خايمي بصحبة زوجته الملكة فيولانتي وأكابر الأحبار والفرسان وممثلي الجماعات الدينية[٢] .

(١) عادل بشتاوي : المرجع السابق ص٤٦ .

(٢) محمد عنان : المرجع السابق ق٢ ، ص٤٤٤ ـ عادل بشتاوي : المرجع السابق ص٤٦ .

وكان خايمي قد نجح من قبل ذلك في الاستيلاء على جزيرة ميورقة في حملة صليبية ، تتكون من مائة وخمسين سفينة كبيرة ، وعدد كبير من الزوارق الصغيرة وانضم إلى الحملة كثير من الجنويين ، وحشود من فرنسا من ولاية بروفانس ، وكان ذلك سنة ٦٢٧هـ/١٢٣١م ، وعلى الرغم مما أبداه المسلمون من بسالة وتضحية إلا أن الجزيرة سقطت في أيدي الغزاة الصليبيين بعد معارك طاحنة[١] .

وعلى الرغم من أن كفة القوى النصرانية قد رجحت على كفة القوى الاسلامية في جزيرة الأندلس بعد معركة العقاب ، وانه بات من الميسور على الأسبان ان يحققوا نتائج عسكرية باهرة على حساب المسلمين ، ولا أدل على ذلك من أن الوجود الاسلامي في الأندلس قد انكمش حتى انحصر في الزاوية الجنوبية الشرقية من الأندلس فيما عُرف بعد ذلك بمملكة غرناطة ، نقول على الرغم من ذلك إلا أن الفرنسيين لم ينقطعوا عن مساندة الحملات الأسبانية ضد مسلمي الأندلس ، وشاركتهم في ذلك أيضا جموع من الأوروبيين كالألمان والانجليز والسويسريين ، وقد تبع انحسار دولة الاسلام وحصرها في الزاوية الجنوبية الشرقية انتشار تدريجي للنصارى في الجهات الوسطى والجنوبية من الأندلس ، وشارك في هذا المد النصراني بعض أهالي غرب أوربا ، وبخاصة من فرنسا ، التي نزحت منها أعداد كبيرة لتستوطن أسبانيا[٢] . .

وأخيرا فلم يبخل الفرنسيون بقواهم وطاقاتهم عن السعي إلى القضاء على مملكة غرناطة ، واسقاط آخر معقل من معاقل الاسلام في الأندلس ، واننا على يقين أن كثيرا من المحاربين الفرنسيين شاركوا في حصار غرناطة ومن ثم الاستيلاء عليها ، ونذكر في هذا الصدد ان محاربا فرنسيا شهد تسليم مدينة غرناطة وكان يقاتل إلى جانب الجيش الاسباني وكتب بعد ذلك عن حوادث حصار غرناطة وتسليمها للنصارى ، وقد نشرت روايته في القرن السادس عشر ضمن مؤلف عنوانه La Mar de Historias أي « بحر التواريخ »[٣] . ولا يهمنا في هذا الصدد

---

(١) اشباخ : تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين ج٢ ص٤١٨-٤١٩ . وانظر بالتفصيل عن احداث الحملة الصليبية التي استولت على جزيرة ميورقه عصام سالم : جزر الاندلس المنسية ص٤١٢ وما بعدها .

(٢) سعيد عاشور : اوروبا العصور الوسطى ج١ ص٥٥٢-٥٥٣ .

(٣) محمد عنان : نهاية الاندلس ص٢٦١-٢٦٢ .

محتوى رواية ذلك المحارب الفرنسي بقدر مايهمنا الاشارة إلى مايمثله وجوده ومشاركته في القتال معْ الأسبان وانه وأمثاله من الفرنسيين ظلوا على دعمهم ومساندتهم للحروب الصليبية ضد مسلمي الأندلس حتى نهاية الحكم الاسلامي في تلك الجزيرة ، وهو الأمر الذي يدلنا دلالة واضحة على تغلغل الروح الصليبية في نفوس الفرنسيين وتعطشهم للقضاء على الوجود الاسلامي في جزيرة الأندلس ، وأن تلك الروح الصليبية لم تضعف او تهمد على مر العصور والقرون منذ دخول شارلمان شمال الأندلس ١٦١هـ/٧٧٧م وحتى سقوط مملكة غرناطة ربيع الأول ٨٩٧/يناير ١٤٩٢م ، بل لا نبالغ اذا أشرنا إلى أن الفرنسيين وحتى العصر الحاضر ابان استعمارهم للجزائر وتونس وسوريا ولبنان، احتفظوا في سلوكهم بنزعتهم الصليبية ، وحنينهم إلى ماضيهم الصليبي ، وان ننس فلا ننسى عبارة الجنرال غورو قائد الجيوش الفرنسية التي احتلت سوريا اذ عندما دخل دمشق وقف على قبر السلطان صلاح الدين رحمه الله ثم قال كلمته المشهورة (**ها قد عدنا يا صلاح الدين**) .

ثبت المصادر والمراجع العربية والأجنبية

أولاً : المصادر :

* ابن الأثير : **الكامل في التاريخ** .دار الكتاب العربي ، بيروت . ط الثالثة ١٤٠٠هـ .
* ابن بسام : **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة** ، تحقيق احسان عباس ، دار الثقافة بيروت . ط الثالثة ١٩٨٠م .
* الحميري : **الروض المعطار في خبر الأقطار** ، تحقيق احسان عباس . مؤسسة ناصر للثقافة . بيروت . ط الثانية ١٩٨٠م .
* ابن ابي زرع : **الانيس المطرب بروض القرطاس** . دار المنصور للطباعة والوراقة الرباط ١٩٧٣م .
* ابن عذارى : **البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب** ، الأجزاء الثلاثة الأولى تحقيق ج . س . كولان وليفي بروفنسال ـ دار الثقافة . بيروت ، الجزء الرابع تحقيق احسان عباس . ط الاولى ١٩٦٧م .
* ابن الكردبوس : **تاريخ الاندلس** . تحقيق احمد مختار العبادي . معهد الدراسات الاسلامية ـ مدريد ١٩٧١م .
* المراكشي : **المعجب** . صححه وعلق عليه محمد العريان ومحمد العربي دار الكتاب . الدار البيضاء . ط السابعة ١٩٧٨م .
* مؤلف مجهول : **الحلل الموشية في الاخبار المراكشية** ، تحقيق سهيل زكار ، وعبد القادر زمامه . دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء ، ط الاولى ١٣٩٩هـ .
* مؤلف مجهول : **اعمال الفرنجة** ، ترجمة . حسن حبشي . دار الفكر العربي . القاهرة ١٩٥٨م .

ثانياً : المراجع :

* خليل السامرائي : **علاقات المرابطين بالممالك الاسبانية بالاندلس والدول الاسلامية** وزارة الثقافة والاعلام ، بغداد ١٩٨٥م .
* رينهارت دوزي : **ملوك الطوائف** ، ترجمة كامل كيلاني . مطبعة عيسى البابي الحلبي القاهرة ١٩٣٣م .
* ستيفن رنسمان : **الحروب الصليبية** . ترجمة السيد الباز العريني . بيروت ١٩٨٢م .
* سعيد عاشور : **أوروبا العصور الوسطى** ، ج ١ . مكتبة الانجلو . القاهرة ط . الثانية ١٩٨١م .
* عادل بشتاوي : **الأندلسيون المواركة** . دار أسامة للنشر والطباعة . دمشق . ط . الثانية ١٩٨٥م .

* عبد الرحمن الحجي : **التاريخ الاندلسي** ، دار القلم . بيروت ، ط الثانية ١٩٨١م .
* عصام سالم : **جزر الاندلس المنسية** . دار العلم للملايين . بيروت . ط الاولى ١٩٨٤م .
* فيشر : **تاريخ أوروبا في العصور الوسطى** ، ترجمة محمد مصطفى زيادة والسيد الباز العريني ، دار المعارف . مصر ط الخامسة
* محمد عنان : **مواقف حاسمة في تاريخ الاسلام** . مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر . القاهرة ط . الثانية ١٣٨٩هـ .
- دولة الاسلام في الاندلس ، عصر الطوائف . دار الكتاب العربي للطباعة والنشر . القاهرة . ط الثانية ١٣٨٩هـ .
- دولة الاسلام في الاندلس عصر المرابطين والموحدين ، ق ٢ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر . القاهرة ط الاولى ١٣٨٤هـ .
- نهاية الاندلس . مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر . القاهرة ط الثالثة ١٣٨٦هـ .
* محمد محمد مرسي : **دولة الفرنجة وعلاقتها بالأمويين في الاندلس** . مؤسسة الثقافة الجامعية . الاسكندرية ١٤٠٠هـ .

هشام أبو رميلة : علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الاسلامية دار الفرقان ، عمان ط الاولى ١٩٨٤م .
* يوسف اشباخ : **تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين** . ترجمة محمد عنان . مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ج ١ ، ١٩٥٩ ، ج ٢ ط الثانية .

— JAN READ : THE MOORS IN SPAIN AND PORTUGAL, LONDON 1974 .

— REINHAARDT DOZY : SPANISH ISLAM, TRANSLATED WITH A BIOGRAPHICAL INTRODUCTION AND ADDITIONAL NOTES, BY FRANCIS GRIFFIN, LONDON 1972 .

— SCOTT: HISTORY OF THE MOORISH EMPIRE IN EUROPE, VOL 11 PHILADELPHIA, LONDON 1904.

— SETTON, K. M. : (EDITOR) A HISTORY OF THE CRUSODES, THE UNIVERSITY OF WISCONSIN, PRESS 1969

— SIDNEY PINTER : A HISTORY OF THE MIDLE AGES, LONDON 1976